﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران: 8]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المقارنة بين أهل الـزّيـغ وأهـل العلم، وربطها بالدّعاء بالحفظ من الزّيغ

"لـمَّا ذكر أهل الزّيغ، وذكر نقيضهم، وظهر ما بين الحالتين؛ عقَّب ذلك بأنْ علَّم عباده الدُّعاء إليه في ألَّا يكونوا من الطّائفة الذَّميمة الّتي ذكرت، وهي أهل الزّيغ"[1]، "وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى كَمَا حَكَى عَنِ الرَّاسِخِينَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؛ حَكَى عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾"[2]، وخلاصة قولهم البليغ ذلك: "ربّنا لا تجعل قلوبنا تنحرف عن الحقّ، بعد إذ أرشدتنا إليه، وامنحنا اللهم رحمة من عندك بالتّوفيق والتّثبيت، إنّك أنت المانع المعطي"[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿قُلُوبَنَا﴾: الْقَلْبُ، هو قَلْبُ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، سُمِّيَ لِأَنَّهُ أَخْلَصُ شَيْءٍ فِيهِ وَأَرْفَعُهُ. وَخَالِصُ كُلِّ شَيْءٍ وَأَشْرَفُهُ قَلْبُهُ. وَيَقُولُونَ: عَرَبِيٌّ قَلْبٌ. قَالَ:

فَلَا تُكْثِرُوا فِيهَا الضَّجَاجَ فَإِنَّنِي *** تَخَيَّرْتُهَا مِنْهُمْ زُبَيْرِيَّةً قَلْبَا[4]

ويُعبَّر بالقلب عن المعاني الَّتي تختصُّ به من الرُّوح والعلم والشَّجاعة وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: 10]، وسُمِّي قلب الإنسان قلبًا؛ لكثرة تقلُّبه[5]، و"القَلْب: الفؤاد، وقد يعبَّر به عن العقل، قال الفرّاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ [ق: 37]: أي عقل"[6].

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/404.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 7/148، وابن عادل، اللباب: 5/41 - 42.
(3) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 71.
(4) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللّغة: 5/17.
(5) الرّاغب، المفردات: (قلب).
(6) الجوهريّ، الصّحاح: (قلب).

2) ﴿وَهَبۡ﴾، ﴿ٱلۡوَهَّابُ﴾: وهب الله لك الشّيء، يهب هبة، وتواهبه النّاس بينهم، والموهوب: الولد، ويجوز أن يكون ما يوهب لك[1]، والهِبَةُ: أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾: هو كثير الهبة، أي: العطيَّة من غير استحقاقٍ عليه، بل هو تفضُّل منه على خلقه[3]، "ٱلۡوَهَّابُ: كثير الهبة"[4]. "والهبة: تمليك الشّيء غيره من غير ثمن"[5].

3) ﴿لَّدُنكَ﴾: ظرف، وهي لأوَّل غاية زمان أو مكان أو غيرهما من الذَّوات، وهي ليست مرادفة لعند، بل قد تكون بمعناها، وهي أخصُّ من عند[6]، ويقال: لدن العود والرّمح لدانة ولدونة، ورمح لدن، ورماح لدنٌ ولدانٌ، وقناة لدنةُ الكعوب. وسرنا لدن غدوة: من طلوع الشّمس إلى غروبها، وقال:

لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتَّى أُلَاذَ بِخُفِّهَا *** بَقِيَّةُ مَنْقُوصٍ مِنَ الْظِلِّ قَالِصِ

ومن المجاز: لدنت أخلاقه، وهو لدن الخليقة: ليّن العريكة[7].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

دعـاء المؤمنين بالـوقـايـة، من الزّيغ المُردي بعد الهداية

بيَّنت الآية أنَّ الرّاسخين يدعون ربَّهم قائلين: ربَّنا لا تُمِل قلوبنا عن الحقِّ، بعد أن هديتنا إليه، وسَلِّمْنا ممَّا أصاب المنحرفين المائلين عن الحقِّ، وهب لنا رحمة واسعة من عندك، تهدي بها قلوبنا، وتعصمنا بها من الضّلال، إنَّك أنت الوهّاب كثير العطاء"[8]، وهي دعوة أن لا يصْرِف قلوبهم عن الإيمان به، بعد أن منّ عليهم بالهداية لدينه، وأن يمنحهم من فضله رحمة واسعة، تلفّهم بالألطاف، لأنّه هو الوهّاب الّذي يعطي من يشاء بغير حساب[9].

(1) الخليل، العين: (وهب).
(2) الرّاغب، المفردات: (وهب).
(3) السّمين، عمدة الحفاظ: (وهب).
(4) النسفي، مدارك التنزيل: 1/238.
(5) الرّاغب، تفسير الراغب: 2/432.
(6) الراغب، المفردات، لدن.
(7) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (لدن).
(8) جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم: 1/50.
(9) نخبة من علماء التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 50.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

سرُّ اختيار الدُّعاء بلفظ الرُّبوبيَّة:

اختير لفظ الرُّبوبيَّة في قولِه تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾؛ لأنَّهم يطلبون الدُّعاء بثبات الهداية في قلوبهم، والتفضُّل عليهم برحمته، وهذا من مقام الامتنان والإنعام، فيناسبه لفظ الرُّبوبيَّة، وعدلتِ الآيةُ عن ذكر القول إلى المَقُول؛ لإظهار حرص الرَّاسخين على قبول دعائهم، وللإيجاز المعهود في القرآن الكريم في مثل هذا المقام، والعناية بالمقول دون ذكر القول، يرسِّخ قيمة تربويَّة تتمثَّل في الاهتمام بالعمل دون الوقوف عند حدِّ القول فقط.

اكتمالُ الإيمانِ في القلب يوفِّقُ صاحبَه للدُّعاءِ الصَّادقِ

علَّة إضافة الزيغ إلى القلوب دون الهداية:

لسائلٍ أن يسألَ عن سرِّ إضافةِ الزَّيغِ إلى القلوبِ في قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾؟ والهدايةُ لجميع الذَّات في قولِه: ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾؟

والجواب: "أنَّ الزَّيغ معنويٌّ معلَّق بالذَّات؛ لأنَّه الأصل، فإذا زاغ القلب؛ زاغ الجميع، والهداية: قصدوا أن يخبروا بحصولها لجميع ذواتهم وحواسِّهم"[1]، وهناك جوابان آخران وهما: الأوَّل: "أنّ الزَّيغ واقع بهم، فأطلقوا أبعاده، ونفيه عن العضو الأخصِّ الذي هو سبب في عمومه في سائر البدن، والهداية في جميع البدن، فأخبروا بذلك رغبة في دوامها على ما هي عليه. الجواب الثاني: إنَّ الزَّيغ يحصل للقلب بأوَّل وهلة، والهداية إنَّما تحصل له غالبًا بعد تأمُّل ونظر واستدلال، فحصولها يشترك فيه القلب والسَّمع والبصر وغيرهم"[2].

سرُّ البَدْءِ بالدُّعاء بالحفظ من الزَّيغ على طلب الهبة:

من فقه المؤمنِ أن يحرِصَ على تطهيرِ قلبِه قبلَ اكتسابِ الصَّالحات

ابتدأَ النَّظمُ بالدُّعاءِ بالحفظِ من الزَّيغ في قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ﴾ على طلب الهبة في قولِه تعالى: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾، وسرُّ

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/349 - 350.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/349 - 350، والبسيلي، التقييد الكبير: 457.

ذلك: أنَّ دفع الضّارِّ مقدّم على جلب المنفعة، وأنَّ دعاءهم "جاء على الأصل في تقديم دفع المؤلم على جلب الملائم"[1].

ولمَّا كان تطهير القلب عمَّا لا ينبغي مقدَّمًا على تنويره بما ينبغي؛ سألوا أوَّلًا: ألَّا يجعل قلوبهم مائلة عن الحقِّ إلى الأباطيل والعقائد الفاسدة، ثمَّ طلبوا بعد ذلك أن يُنَوِّر قلوبهم بأنوار المعرفة، وجوارحهم وأعضاءهم بزينة الطَّاعة، فقالوا: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾، وهي شاملة للإحسانِ الدُّنيويِّ والأخرويِّ[2].

فائدةُ إيثار الدُّعاء بلفظ الهبة في: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾:

آثر أولو الألبابِ الدُّعاءَ بلفظ الهبة دون العطيَّة؛ لأنَّ الهبة تكونُ عن تَفَضُّلٍ من الواهبِ، لا عن سبب من الموهوب، بخلاف العطيَّة؛ فهي عن مقابل، تقول: أعطاني؛ فأعطيته، ولذلك جاءَ في دعاء سيِّدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠﴾ [الصافات: 100]، ودعا زكريَّا عليه السلام: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥﴾ [مريم: 5]، فأُوثر لفظُ الهبةِ للاعترافِ بالفضلِ الإلهيِّ المحضِ.

الاعتراف بالفضلِ الإلهيِّ المحضِ في الدُّعاءِ أرجى للاستجابةِ

قال أبو حيَّان في سرِّ اختيار الهبة: "سَأَلُوا بِلَفْظِ الْهِبَةِ الْمُشْعِرَةِ بِالتَّفَضُّلِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ وَلَا عَمَلٍ وَلَا مُعَاوَضَةٍ؛ لِأَنَّ الْهِبَةَ كَذَلِكَ تَكُونُ، وَخَصُّوهَا بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِهِ"[3].

وفِيه تعليمُ العبد ألَّا يلتفت إلى شيء من العمل، ويطلب العوض به، بل يرجو رجاء المفاليس الطَّالبين للتفضُّل والهبة لا العوض[4].

دلالةُ التَّقييدِ بقوله: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾:

عبَّر بقوله: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ للدلالة على أنَّ الهبة على ضربين: هبة عن عوض، وهبة لا عن عوض، ونبَّه بقوله: ﴿لَّدُنكَ﴾ إلى أنَّ هذه

الرَّحمَةُ عطَاءٌ إلهيٌّ مَحْض

(1) البسيلي، التقييد الكبير: 458.
(2) السيوطي، قطف الأزهار: 1/563.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/32.
(4) الطيبي، فتوح الغيب: 4/30.

الهبة اعترافٌ أنَّه بتفضُّله يُدركُ ما يُدرك في الدُّنيا والآخرة، نحو قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف43] "[1]، "ولمَّا ثبت بالبرهان القاطع أنَّه لا رحيمَ إلّا هو؛ أكَّد ذلك بقوله: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾؛ تنبيهًا للعقل على أنَّ المقصود لا يحصل إلّا منه"[2].

إيثارُ التَّعبير بقوله: ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ دون (من عندك):

فـقـهُ الـدُّعـاءِ كـامـنٌ في استيثاقِ تحقُّقِ النِّهاياتِ

جيءَ بالظَّرف ﴿لَّدُنكَ﴾ في الآية دون (عند): لدلالته على ابْتِدَاءِ الْغَايَةِ فِي زَمَانٍ أَوْ مَكَانٍ، وَقَلَّ أَنْ تُفَارِقَهُ: مِنْ[3]. فهو أخصُّ من (عند)؛ "لأنَّه يدلُّ على ابتداء نهاية، نحو أقمت عنده من لدن طلوع الشمس إلى غروبها، فيوضع (لدن) موضعَ نهاية الفعل، قال تعالى: ﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾ [الكهف: 76]، وقوله: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [الكهف: 10]، فهؤلاء الدَّاعون نظروا إلى تحقُّق مطلوبهم، ابتداءً من وانتهاءً، ومن هنا كان اختيارُ هذا الظَّرف أبلغَ من غيره.

سرُّ تخصيصِ الرَّحمةِ بالذِّكرِ في قولِه: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾:

ذُكِـرَت الرَّحمةُ والمـرادُ لازمُـها وهـو الـعـطـاء والـنَّـعـيـم والثَّواب

خصَّص الرَّحمة في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ بالذِّكر؛ "لأنَّ مبدأها من الله تعالى، أَيْ: مِنْ عِنْدِكَ وَمِنْ قِبَلِكَ تَفَضُّلًا، لَا عَنْ سَبَبٍ مِنَّا وَلَا عَمَلٍ، وَفِي هَذَا اسْتِسْلَامٌ وَتَطَارُحٌ"[4]، و"لِأَنَّ تَيْسِيرَ أَسْبَابِهَا، وَتَكْوِينَ مُهَيِّئَاتِهَا، بِتَقْدِيرِ اللَّهِ؛ إِذْ لَوْ شَاءَ؛ لَكَانَ الْإِنْسَانُ مُعَرَّضًا لِنُزُولِ الْمَصَائِبِ وَالشُّرُورِ فِي كُلِّ لَحَةٍ، فَإِنَّهُ مَحْفُوفٌ بِمَوْجُودَاتٍ كَثِيرَةٍ، حَيَّةٍ وَغَيْرِ حَيَّةٍ، هُوَ تِلْقَاءَهَا فِي غَايَةِ الضَّعْفِ"[5].

والمرادُ بالرَّحمةِ النَّعيمُ الصَّادر عن الرَّحمة؛ "وَلَمَّا كَانَ الْمَسؤولُ صَادِرًا عَنِ الرَّحْمَةِ؛ صَحَّ أَنْ يَسْأَلُوا الرَّحْمَةَ إِجْرَاءً لِلسَّبَبِ مَجْرَى

(1) الرّاغب، تفسير الراغب: 2/434.
(2) ابن عادل، اللباب: 5/47.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/7.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 4/21.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/170.

الْمُسَبِّبِ، وَقِيلَ: مَعْنَى ﴿رَحْمَةً﴾: تَوْفِيقًا وَسَدَادًا وَتَثْبِيتًا لِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْهُدَى"[1].

نُكِّر لفظُ (رحمة) لإفادةِ العُمُومِ

وجاء لفظ ﴿رَحْمَةً﴾ مُنَكَّرًا؛ ليكون شاملًا لجميع أنواع الرَّحمة، فنور الإيمان والتَّوحيد والمعرفة: رحمة، وسهولة أسباب المعيشة في الدُّنيا: رحمة، وسهولة سكرات الموت: رحمة، إلى غير ذلك ممَّا ينعم به الإنسان في دنياه وفي أُخراه.

سرُّ تقديم الجارِّ والمجرور على المفعول به:

قدِّم الجارُّ والمجرورُ على المفعول به في قولِه تعالى: ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾؛ "لأنَّ تعدِّي الفعل إلى المفعول به أقوى من تعدِّيه إلى المجرور؛ ولأنَّ الأهمَّ المقصود حصول الهبة لهم"[2] منه تعالى، وقدِّم الجارُّ والظَّرفُ على المفعولِ به؛ لبيانِ أنَّهم يطلبونها منه، ويتقرّبون بذلك إليه.

ختمتِ الآيةُ بقوله (إنك أنت الوهاب) لأنَّه كالتَّعليلِ للسَّابقِ

خُتمتِ الآيةُ بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾؛ "لأنَّه كَالتَّعْلِيلِ لِقَوْلِهِمْ: وَهَبْ لَنَا، كَقَوْلِكَ: حُلَّ هَذَا الْمُشْكِلَ؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَالِمُ بِالْمُشْكِلَاتِ"[3]، فهي "تعليل للسُّؤال"[4].

بلاغةُ القصرِ في قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾:

هبةُ المخلوقين تتلاشَى أمامَ هبة الله تعالى

دلَّ الْقَصْرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ على "الْمُبَالَغَةِ؛ لِأَجْلِ كَمَالِ الصِّفَةِ فِيهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ هِبَاتِ النَّاسِ بِالنِّسْبَةِ لِمَا أَفَاضَ اللهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ شَيْءٌ لَا يُعْبَأُ بِهِ، وَفِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ تَأْكِيد بِإِنَّ، وَبِالْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ، وَبِطَرِيقِ الْقَصْرِ"[5].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/33.
(2) البسيلي، التقييد الكبير، 458.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/33.
(4) القنّوجي، فتح البيان: 2/191.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/171.

دلالة صيغة المبالغة في قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾:

اختار التَّعبير صيغة المبالغة ﴿ٱلْوَهَّابُ﴾؛ إشارة إلى سعة كرمه ورحمته، كأنَّ العبد يقول: إلهي؛ هذا الَّذي طلبته منك في هذا الدُّعاء عظيم بالنِّسبة إليَّ، حقيرٌ بالنِّسبة إلى كمال كرمك، وغاية جودِك ورحمتك، فإنَّك أنت الوهَّاب"[1]، وفي هذا من البلاغة ردُّ العجز على الصَّدر.

(1) ابن عادل، اللباب: 5/47.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»